
٦
الزمردة
نحيف وعريف
جمال شاهين

المكتبة الخاصة

نحيف وعريف

النشر الاول ١٩٩٥

النشر الاخير ٢٠١٨

الرفيقان

كان يا ما كان في قديم الزمان شاب في الثلاثين من عمره ينادى بـ " عريف"، وقد ضاقت به الدنيا بما رحبت في موطنه ، فنصحه أحد الناس بالسفر و الرحيل ؛ لـعل الأحوال تتحسن وتتحقق الآمال والأحلام ، فشد زوادة في كيسه وعلقه على كتـفه ، وخرج من البلد غير آسف على شئ .

وانطلق يقطع الجبال والوديان حتى أشرف على طرف مدينة من مدن ذلك الزمان ، فاختار شجرة وجلس تحتها ليستريح من التعب والإرهاق ، ثم أخرج الطعام من كيسه وبدأ الأكل ، وبينما هو في هذا الحال سمع أصواتا مختلفة .. أصوات خيل .. بغال .. جمال ورجال ، ورأى غبارا يرتفع إلى عنان السماء ، فأعاد الطعام والماء لكيسه ، وتسلق الشجرة على الفور كما تفعل الفهود ، واختبأ بين أوراقها الكثيفة ينظر ويراقب فشاهد فرسانا وخيولا تقترب منه ، فأدرك أنه جيش يتحرك إلى هدف ما ، فقبع بين الأغصان وأمسك أنفاسه ، فقد خشي أن يروه فيصنعوا به العجاب إن لم يفتكوا به ، فكمش وأخذ يتابع حركة الجيش الزاحف ، فرأى الخيالة تحيط بعربة تجرها الخيول الشهباء ، ثم شاهد المشاة وهم يحملون الرماح الطويلة ، ورأى الخدم وحملة الخيام والطعام ، ومر الجيش من

منطقته بسلام ؛ ولكنه لاحظ في آخر الحملة العسكرية رجلا يمشي وحده ، وقد تظاهر هذا الرجل المتخلف بأن نعله قد تعطل وأصابه عطب فجلس يعدله ويصلحه ، ثم شاهده يتوارى خلف إحدى الصخور ، فأدرك عريف أنه يحاول الهرب والتخلص من هذه الحملة ، فانشغل بمتابعته ، وعندما ابتعد الجيش تيقن له أن الرجل قد نجا ، ورآه يهرب نحو الجبال فتابعه ببصره ، فشاهده يختفي في كهف من كهوف الجبال .



فصمم عريف أن يلحق به ويعرف سره وسر هذا الجيش ، فهبط الشجرة وتسلق الجبل إليه ، ولما اقترب من المغارة المختفي فيها الرجل تلفت فيها فلم يجد أحدا ، فأدرك أن الرجل أحس به وخبأ نفسه فصاح عريف : يا هذا أنا صديق .. أخرج لا تخف ، لقد رأيتك وأنت تهرب من هؤلاء القوم أنا صاحب لست جنديا.

فخرج الرجل من جوف الكهف وهو يقول: أمان أمان .. من أنت؟

فقال عريف وهو يجلس على أرض الغار : أنا عريف ، رجل ضاقت به الدنيا والأحوال ‥ فخرج من بلده باحثا عن سعة في الرزق في أرض الله الواسعة ‥ وأنت يا أخي ما قصتك ؟

فقال الرجل : يا عريف كيف عرفت أنني هارب من هذا الجيش ؟!

فحكى عريف له الحكاية فابتسم نحيف ؛ وكأنه اطمأن للرجل قال: سأقبل صداقتك يا عريف واعلم أن أمي سمتني نحيفا ‥ فأنت عريف وأنا نحيف اسمان جميلان ، لعل الله يجمل أيامنا أيها الصديق ، وأما قصتي فهي تتلخص فيما أقول ‥ أنا رجل قليل العمل ‥ أعمل يوما عند فلان وآخر عند فلان ‥ لا زوجة ولا ولد ولكن لي أم عجوز ‥ ولبلدنا أمير جبار ذو قوة واقتدار ؛ ولكنه ظالم لا يخشى الرحمن ، يعتدي على جيرانه ، ويأخذ منهم الأموال ، لا صديق له إلا المال ..وقد خطب فتاة لابنه من أحد الأمراء ، فأبى والدها ، فغضب أميرنا ، وصمم على غزو بلاد ذلك الأمير الرافض ، فجهز هذا الجيش من الفرسان والمشاة ‥ ومن عادة أميرنا وسادة البلاد عندما يجردون حملة للغزو والنهب أن يلملوا الشباب من الأسواق ويأخذوهم غصبا عنهم لخدمة الحملة ‥ ومن سوء حظي أنني كنت في السوق ذلك اليوم فحملوني

إلى معسكر الجيش ، ودونوا اسمي في دفتر الحملة ، وأمروني بالاستعداد لمرافقة الحملة والجيش المحارب ، ولو تخلفت ورفضت يقتلونني على الفور ، فوضعت خطة للهرب أثناء خروج الجيش من البلد ·· فإن فقدوني في الطريق أصبح محكوما عليّ بالموت ، وإن لم ينتبهوا لفراري واشتبكوا مع جنود الأمير الرافض وحدث بينهم قتل فسوف يعتبرونني قتيلا وبطلا ·· فهذا ما جرى معي أيها الصديق ، واعلم أنني في كلتا الحالتين لا أستطيع العودة لمدينتي ··ولست آسفا على ذلك ، إنما الذي يحز في النفس يا صاحبي هو تركي لأمي العجوز .. ولكن أمي لا تحب لي الموت والقتل في خدمة هؤلاء اللئام ، والموت في معركة لا ناقة لي فيها ولا جمل كما يقول المثل·· فالهرب هو الحل الأمثل ·· أليس قولي حقا يا صاحبي ؟

فقال عريف : معك حق .. إذن لنتصاحب وندور في الأرض سوية ؛ لعل الله يهيئ لنا رزقا حسنا .

وتعاهد الرجلان على الصداقة والاخوة والوفاء ، وأخرج عريف الطعام من كيسه وبدآ يأكلان ، وبينما هما يمضغان الطعام والسرور مرتسم على وجهيهما سمعا سائلا يقول : من ؟! إنني أرى في كهفي ضيوفا ·· من أنتم ؟!

التفتا إلى حيث الصوت ، فشاهدا رجلا قصيرا ؛ كأنه قزم بل هو قزم ففزعا منه ثم قال عريف : غريبان مارّان يا صاحب الكهف ٠

فقال القزم : ما أمركما ؟ واصدقاني الحديث .

فروى كل منهما حاله للقزم الذي قال بعدما سمع كل شيء : حسنا أيها الضيفان العزيزان !٠٠ امضيا ليلتكما هذه في كهفي ٠٠ وغدا ـ إن شاء الله ـ سأكرمكما جزاء لجوءكما إلى كهفي ٠٠كهف الأمان والسعادة واحذرا من إزعاجي الليلة ٠٠ ولسوف أيسر لكما سبيل السعادة فأنا رجل الخير والأحلام .

وتركهما وانصرف في جوف الكهف واختفى ، فأصابهما القلق والتوتر ، وفكرا بالهرب ؛ ولكنهما تذكرا كلمات القزم المطمئنة ، فشجعا أنفسهما على الصبر والانتظار إلى صباح الغد وهذا ما كان .

ولما استيقظا من نومهما وجدا أمامهما مائدة عليها من أطايب الطعام والشراب ، ووجدا القزم جالسا وهو يبتسم لهما ، فأشار لهما بالأكل فطلبوا منه أن يشاركهم فأبى وقال : أنتم ضيوفي تمتعوا بهذه الطيبات ٠٠واشكروا الرب عليها .



ولما شبعا وامتلأت بطونهما ، فشكرا الرجل القصير وأثنيا عليه الثناء الحسن ، فقال لهما : لقد حللتم ضيوفا عليّ ·· فوجب إكرامكما أيها الصديقان ·· فبما أنكما تعاهدتما على الصداقة كما سمعت منكما أمس·· سأعطيكما هدية تنتفعان بها معا ؛ فإذا فسدت صداقتكما فسدت فوائد هديتي لكما .

ثم شاهدا القزم يخرج من وسطه كيسين أحدهما أحمر اللون ، والثاني أصفر اللون ، وفتح القزم الكيس الأحمر فأخرج من جوفه كرة صغيرة من الجلد حمراء مثقوبة من جهة واحدة ، فملئها بالماء فانتفخت فأصبحت بحجم بيضة الدجاجة ثم ضغط عليها فأفرغت الماء ووضعها في الكيس الأحمر وقال : هذه البيضة الحمراء لك يا عريف .

ودفعها ليد عريف الممدودة إليه ، ثم أخرج من الكيس الأصفر كرة أخرى صفراء مثقوبة فملئها بالماء حتى انتفخت وأصبحت مثل بيضة الدجاجة ، ثم أفرغها من الماء وأعادها لكيسها الأصفر وقال : هذه لك يا سيد نحيف ·· خذها .

فتناول نحيف الكيس الأصفر من يد القزم ، ثم قال القزم : أيها الصديقان هاتان البيضتان الحمراء والصفراء متى دخلهما الماء ثم أفرغ منهما معا في إناء واحد أصبح دواء ؛ فإذا شربه إنسان مريض مرضا

صعبا أو حتى حيوان أو نبات وقد عجز الأطباء والحكماء وأهل الخبرة عن مداواته تعافى بإذن الله ، ماء البيضتين الحمراء والصفراء معا هو الدواء ، واحدة وحدها لا تشفي العليل ٠٠ فعندما تجدان في تنقلكما بين المدن والقرى مريضا عجز عن علاجه الأطباء وتعسر أهل الدواء عن وصف دواء له تملئا البيضتين بالماء ثم أفرغا الماء منهما في وعاء وأسقياه للمريض فيبرأ بمشيئة الله ، فمن كان غنيا فخذا منه مالا ، ومن كان فقيرا فسامحاه ، وذلك صدقة عنكما ٠٠ فهذه هي هديتي لكما وأرجو أن تظلا شريكين واحذرا الطمع والغدر بينكما ٠٠وحافظا على البيضتين واحذرا اللصوص والطامعين ٠٠ حافظوا على الهدية ولسوف تغنيان ٠٠ وانصرفا الآن ولا تعودا لهذا المكان البتة ، فأنتما الآن من أمهر الأطباء في الدنيا فحافظا على كنزكما ، وإذا التقينا ثانية سأسترد هديتي منكما .

فقاما وقبلا أيدي القزم ، وغادروا الكهف مسرورين ، يحلمان بالثروة والغنى ، ولما ابتعدا عن الكهف قليلا نظرا إليه فلم يجداه ؛ كأن الأرض انشقت وابتلعته ، فقال عريف : ما تقول بما سمعنا من هذا السيد العجيب ؟! ٠٠ هل صدق بما قال عن فوائد البيضتين السحريتين أم خدعنا ليتخلص منا ؟؟

ابتسم نحيف وقال : ويحك يا عريف! بل نحن كنا خائفين منه٠٠ ألم



تر أنه يأتي فجأة ويختفي فجأة في ظلمات الكهف ؟ فمهمتنا الآن أن نبحث عن مريض ذي مرض شديد ونسقه من ماء البيضتين ، ونرى ما يصيبه بعد ذلك من الشفاء والصحة ؛ لنتأكد مما قاله القزم ؛ فإن شفي نبدأ بالمداواة في المدن والممالك الكبيرة ٠٠ ثم نبني لنا قصرا كبيرا فريدا من نوعه ، ثم نتزوج يا عريف من فتاتين جميلتين من بنات حواء ٠٠ونعيش سعداء بما معنا من المال ٠

فقال عريف : يا إلهي معك حق أيها الرفيق !٠٠ فلنتعاهد من جديد على الصداقة والوفاء والإخلاص لبعضنا ٠٠ آه ! ! لو صدق القزم فيما قاله عن فوائد البيضتين ، قد نصير من السادة مثل الأمراء والملوك ٠٠ لا نبني قصرا واحدا بل قصورا ٠٠ونتزوج أجمل النساء ٠٠ ونملك الجواري والغلمان ٠٠ ونصبح مثل السادة الكبار أصحاب الجنان والرياض ٠٠يا صديقي يا نحيف ٠٠هل يحق للفقراء مثلنا أن يحلموا ويسعدوا بمثل هذه الأحلام ؟!

قال نحيف : علينا يا صديقي الطيب عندما نصل إلى إحدى المدن أن

نشترى جرابين كأجربة العشابين والحكماء ؛ لنبدو أمام الناس ؛ كأننا من أبناء صنعة الطب ، ومن ثم نسير بين القرى والمدن نبحث عن المرضى ونداويهم ، ونكسب منهم الأموال لنحقق أحلامنا المتواضعة في هذه الدنيا ٠

فقال عريف فرحا حالما : يبدو أن الدنيا بدأت تصفو لنا أيها الصديق الرفيق ، فعلينا أن نحسن الشكر لله مولانا العظيم !



واستمرا يحلمان وهما يقطعان الجبال والوديان حتى هبطوا على إحدى القرى الصغيرة ، وطلبا الضيافة من أهل القرية ؛ فلم يرحبوا بهما ، ولم يقبل ضيافتهما سوى فتى صغير ، فقال لهما بحزن : أيها الضيفان أنا أرحب بكما ، وسيسر والديّ بروءيتكما .

فضحك أهل القرية من نخوة وكرم الفتى ، وقال أحد الناس ساخرا : حزنون الفقير الذي ليس عنده قوت يومه يستضيف الغريبين يا للكارثة يا للمصيبة !

فأخذ القوم بالضحك والسخرية من الفتى حزنون فقال عريف بصوت عال : لقد قبلنا ضيافتك أيها الغلام الكريم الشهم .

وقادهما حزنون أمام سخرية الجميع إلى بيته الصغير ، وتبعاه وهما متئلمان لبخل أهل هذه القرية ، وأثناء المسير قال لهما حزنون : لا تغضبوا أيها الضيفان من أهل قريتي ، فهم قوم لئام لا يحبون الضيف .. يبخلون عليه ببيضة دجاجة يطعمونه إياها ، وأنا أقول ذلك عنهم وكلي ألم لشحهم وبخلهم ، ولسوف يسر أبي بكم ..فأبي رجل طيب يحب الخير والعمل الصالح ، وهو يحب إكرام الضيف والغريب ، ولا يبخل عليه بشيء من نفسه وماله ، ومثله أمي الصابرة ، لقد سقط أبي ذات يوم عن

إحدى الأشجار العالية فكسر عموده الفقري فأصبح عاجزا مشلولا عن العمل ، فأقوم أنا ابن العشر سنوات على إعالته بتأجير نفسي لهؤلاء اللئام ، وتخدم أمي في البيوت حتى لا نمد أيدينا لهم ، وهكذا ندبر أمورنا فدعوتكم على الميسور ، فمن أجل ذلك يسخر مني أهل القرية عندما رحبت بكما ٠٠ يسخرون من فقرنا .. لقد آلمني وأحزنني بخلهم أيها الضيفان .

أثنى عريف والجندي نحيف على الغلام اليافع ، ومدحا صبره وشجاعته وكرمه ، وسعدا بمقابلة الأب المريض والأم الصبور ، وتعشيا مع الأسرة الصغيرة ، وقبل أن يتـفرق القوم للنوم ، قال عريف : يا أبا حزنون هل عرضت نفسك على حكيم ليعالجك ؟

فقال الأب : هنا في هذه القرية لا يتعاطى أحد هذه الصناعة ، والمدينة الكبيرة بعيدة جدا يحتاج الوصول إليها عددا من الأيام والليالي ؛ ولكن حدث أن مر بقريتنا طبيب جوال فعرضوني عليه فوصف لي أعشابا ، وقال لي " إن داءك عسير ، ولا أمل لك في العافية ؛ لعل هذه الأعشاب تخفف من آلامك " فحمدت ربي وصبرت .

فنظر نحيف إلى عريف ثم قال نحيف : يا أبا حزنون ! نحن نتعامل بالطب ، ووهبنا الخالق سبحانه القدرة على المداواة ، ولدينا دواء

فرخص لنا أن نجربه عليك ؛ لعل الله يجعل فيه المخرج مما أصابك من البلاء والشدة .. فغدا صباحا إذا وافقت فسوف نرى نتائجه فلن تخسر شيئا ، ونكافئك على كرمك وإحسانك إلينا .

فقال الأب : لا أدري ما أقول لكما ..فرغم أنّ ذلك الطبيب قال " لا أمل لي بالشفاء " ؛ ولكني سأسمح لكما بتجربة دوائكما عليّ فالشافي هو الله ..فالحياة بدون أمل لا لذة فيها ..على بركة الله يا إخواني .

فقال عريف : في الصباح الباكر أيها السيد الكريم نسقيك الدواء وبإذن الله تشفى وتعود لك صحتك وقوتك كما كنت ، ويفرح حزنون وأمه بشفائك ، وسنمكث هنا حتى تسترد عافيتك ، ولن نثقل عليكم بالطعام فمعنا بعض الدراهم نشتري بها من أهل القرية .. لا تغضب منا يا أبا حزنون ، فنحن نعلم حالتك وحاجتك ونعلم كرمك وشرفك ، وبارك الله فيكم كلكم .

وأخذهما حزنون لفناء البيت الصغير ليرقدا على نور القمر والنجوم في فلك السماء ، ودفع لهما غطاءه ، فرداه وقال نحيف : تدثر به أيها الفتى .. فنحن منذ زمن نتدثر في ثيابنا نفترش الارض ونتغطى بالسماء .

وأمام رفضهما الشديد قنع حزنون وتدثر بغطائه ، وقد طرحه على جسده وتظاهر بالنوم ، فلقد ظل ساهرا على ضيفيه من عوادي الليل

من كلاب أو ضباع أو ذئاب .

وحمد الفتى الله كثيرا عندما أشرق الصباح ، ولم يحدث لهما أذى ، فأعطياه درهما ليشتري لهم طعاما ، فرفض الغلام ؛ ولكنه أمام قسمهما أخذ الدرهم واشترى أزكى الطعام ، ثم أكلوا جميعا ، وبعدئذ أحضر لهما حزنون الماء ليبدآ بعلاج والده .



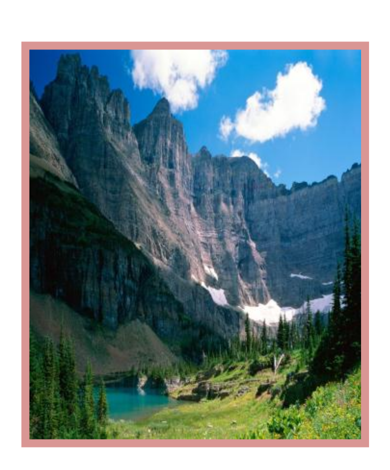
أخرج عريف من كيسه الأحمر البيضة الحمراء ، ووضع في جوفها الماء حتى انتفخت وأصبحت كالبيضة الحقيقية ، ووضع نحيف الماء في بيضته الصفراء حتى انتفخت بالماء وأصبحت كالبيضة الحقيقية ، ومكثا بضع دقائق كما علمهما القزم ، والقلق يسيطر عليهما ، فهذه أول تجربة لهما مع هدية القزم ، والقلق أيضا من الأمل الذي تعلق في نفوس هذه الأسرة الفقيرة ، وكان حزنون قد وضع أمامهما وعاء من الفخار ، فقاما بإفراغ الماء من البيضتين في القدح الصغير ، وأمام دهشة الأسرة طلبا من أبي حزنون شرب الماء المفرغ من البيضتين كله ، وهما يدعوان الله

تعالى أن يعافي الرجل من سقمه ، وأن يكون ما قاله القزم صدقا ولا يفضحهما أمام هذه الأسرة المسكينة التي تعلقت آمالها بهما .

تناول الأب القدح من يد عريف ، وشربه على دفعات سريعة ، وبعد ساعة من الوقت والانتظار والتوتر الشديد على أعصاب الجميع أحس والد حزنون بآلام قاسية ومؤلمة جدا ؛ ولكنه شعر بعد خفتها بأن قدميه يتحركان ، وارتعش جسده كله ، فصاح من شدة الفرح : لقد برأت يا ولدي .. الله الله !!.

فأوقفوه شيئا فشيئا ثم أجلسوه ، وتنفس عريف ونحيف وحزنون الصعداء ، والفرح يغمرهم جميعهم ، وحمدوا الله كثيرا ، وعانق حزنون الرجلين وهو يبكي من شدة الفرح ، وبكت الأم وهي تلهج بالحمد لله وتدعو للرجلين بالتوفيق والسعادة ، وتمدح براعتهما بالطب ، وكان الأب في هذه اللحظات من أسعد الناس ، ثم أخذ الأب يصيح من الفرح ومن عودة الحياة إلى جسده المحبوس منذ سنوات ، حتى أن أهل القرية فزعوا على صياحهم وفرحهم ، وكانت مفاجأة لأهل القرية ، ولقد كان من السعداء في تلك اللحظات أيضا عريف ونحيف ، وقد بدأ خيالهما يصور لهما تحقيق الأحلام الكبيرة التي كانوا يحلمون بها عندما سمعوا كلام القزم عن فوائد البيضتين ، فلما رأوا النتيجة بعد

نجاح هذه التجربة ، تأكدت لهما أحلامهما من القصور والزوجات الحسان والمال الوفير ، ومكثوا أياما في القرية ليطمئنوا على شفاء أبي حزنون ، ولما تيقن لهما برؤه ، ودعوا القرية وهما في غاية السعادة والأحلام ، ومع الفرح الظاهر على أنفسهما تسرب القلق والخوف لقلبيهما على الكنز المنتظر ، وعلى البيضتين أن تسرقا أو تـفقدا .



شراء القصر

قادتهم أقدامهم إلى مدينة من مدن الدنيا العامرة في ذلك الزمان ، ولما دخلاها لم يبق بحوزتهما طعام ولا مال ، وقد مسهما الجوع بأنيابه فبحثا عن خان ، وقال عريف لصاحبه : فلندخل هذا الخان فقد طال وقوفنا أمامه ، ونحاول مع صاحبه ؛ لعله يقبل بقاءنا عنده حتى يتيسر الحال .



وتشجعا ودخلا الخان ، وقال أحدهما لصاحب الخان : يا هذا نحن غريبان ، ولا حول لنا ولا قوة ، وانقطعت بنا السبل ، وليس لدينا مال ولا طعام .

فقال لهما بجفاء : وما المطلوب مني ؟!

فقال نحيف : يا سيدي ..اقبل ضيافتنا حتى نلتقط رزقنا ، ولسوف ندفع لك حقك كله لا ينقص درهما واحدا ، والله شهيد على قولنا .

فقال الرجل : وما صنعتكما أيها الغريبان ؟؟

فرد عريف : يا أيها الرجل الفاضل نحن نداوي المرضى ، بل المرضى

الذين يعجز الأطباء عن مداواتهم ، فاقبل صحبتنا ، ولن تندم ألبته .

فقال صاحب الخان لنفسه : لولا أنهما ماهران في الطب ما جاءا لهذه المدينة الكبيرة وتركا أهلهما وبلادهما مع أن الثياب التي يرتدونها لا توحي بذلك .

ثم قال مخاطبا لهما : حسنا أيها السادة ! سأقبل ضيافتكما ثلاثة أيام فقط ، وبعدها أطلب منكم الأجرة وإن لم تدفعوا أدفع بكم لرجال الشرطة رجال الأمير .. واعتبركما محتالين هل توافقان ؟

فقالا : نعم ، أيها السيد الكريم !ونحن لك من الشاكرين .

ونزلا في خان " مخروم " وأكلا من طعامه ، وفي الصباح أخذا بالتجوال في الشوارع والأحياء ، ويدللان على طبهما ، ويبحثان عن مريض يعالجانه ويمنحهما بعض المال ، وبعد تعب شديد من الـفر والدوران ساقتهما أرجلهما إلى قصر قديم ، كان يجلس أمامه شيخ كبير ذو لحية بيضاء وبين يديه غلمان ، وكان اليأس والملل قد دب في قلبيهما ، فاقتربا من الشيخ يسألاه عن شربة ماء ، فلبى الشيخ طلبهما وأرسل أحد غلمانه ليحضر لهما الماء البارد والطعام الطيب عندما لاحظ حاجتهما ، ثم أخذ يرحب بهما ثم سألهما عن حرفتهما ، فحدثاه عن صنعتهما وقدرتهما على معالجة المرضى ، فلما شربا وأكلا ، قال لهم الشيخ : لقد أتى الله

بكما إليّ .. لي ولد شاب مريض منذ ما يزيد عن عشر سنين ، وأحضرت له أمهر الحكماء والعشابين في المدينة ؛ بل من المدن المجاورة ، وما نفع معه دواء وعشب ، فإذا شفي على أيديكم فلكم عندي ما تريدون وتشتهون .

فقال نحيف : أيها الشيخ المحترم إذا عالجناه وبريء بإذن الله تدفع لنا ألف درهم كاملة .. أمعك هذا المبلغ ؟

ابتسم الشيخ لهما ونظر إلى قصره وقال : مبلغ كبير ! ولكن والذي خلق الأنس والجن إن طاب الفتى وتعافى من الداء فلكم مني ألفي درهم بالتمام والكمال ، وجملة من الثياب الحسنة .

فقال عريف وقد سال لعابه لهذا المال الذي ما حلم به في الأحلام : ألفا درهم أيها السيد الكريم !. . نحن نملك ألفي درهم ! ..دعنا نرى مريضك يا شيخ الخير والسعادة .

فقال الشيخ مداعبا : يبدو أنك لم تر هذا المبلغ في حياتك يا سيد عريف مع قولكما أنكما ماهران في الطب ..أليس كذلك يا نحيف ؟!

رد نحيف : نعم نحن ماهران في الطب ؛ ولكن هذا المبلغ أول مرة يعرض علينا .

فنهض الشيخ عن كرسيه وأمر الغلمان بإدخال أواني الطعام والماء ،

وقادهما الشيخ إلى غرفة ولده المريض ، وشرح لهما قصة سقمه ، وتبين لهما أنه مصاب بمس من الجنون أدى به إلى الضعف والهزال ، فطلبا ماءً ، ولما جيء بالماء أفرغاه في البيضتين حتى امتلأتا وانتفختا ، وأبقيا الماء في جوفيهما قليلا كما علمهما القزم ، ثم دلقا الماء الموجود في جوف البيضتين في وعاء ، وأسقوه للشاب الهزيل السقيم أمام نظرات الشيخ الحائر والمستغرب لطبهما ، وكذلك رئيس الغلمان في القصر شاركه الدهشة والحيرة .. هل يشفى الفتى من كوب ماء !

وقال عريف : يا سيدي الشيخ ابنك بعد حين سيحدث له ألم شديد ، ثم على أثره يتعافى بإذن الله تعالى..وسنعود لك غدا ـ إن شاء الله ـ لنرى النتيجة يا مولانا الشيخ .. فالظلام قد أوشك أن يملأ الدنيا .

وكان الشيخ متشككا من علاجهما فأصر على ضيافتهما والمبيت عنده ، فاعتذرا واعتبرا تصرفه معهما إهانة لهما فتأسف لهما ، وأمر رئيس خدمه أن يوصلهما إلى الخان الذي ينزلان فيه ففعل ، فاستقبلهما مخروم صاحب الخان ، وقال لهما : لعلكما وفقتما في علاج مريض ؟

فقصا عليه حكاية الشيخ وولده المريض المجنون ، فقال لهما بعد سماعها متهكما: وهل سيدفع لكم ذلك السيد ألفي درهم..إنه مبلغ كبير فعلا يا صاحبيّ ؟!

فقال نحيف : فإذا تعافى الفتى ـ إن شاء الله ـ نستلم المبلغ أيها الصاحب فنعطيك حقك .

فتركهما صاحب الخان وهو في دهشة من حالهما ، ويحدث نفسه قائلا : آه !..إنه مبلغ كبير جدا ! .. هذان الصعلوكان يمتلكان ألفي درهم ، فإن ثيابهما البالية يبدو لي أنهما لم يخلعاها عن أجسادهما منذ سنة .. لنصبر ونرى ما هو دواؤهما السحري ؛ ولكنني أخشى أن يلقى بهما في السجن غدا فأخسر ما أنفقته عليهما من ماء وطعام ومنام ! وألحظ أنه لا شيء لديهما يمكنه أن يعوضني عن الخسارة التي ألحقاها بي ..إن غدا لناظره قريب .

وما أشرقت الشمس وسطعت بنورها الذهبي الرائع حتى هرع الصاحبان لقصر ذلك الشيخ قبل أن يأتيهما رئيس الغلمان بالبغال لأخذهما ، فوجداه في انتظارهما على الباب ومعه شاب جميل الهيئة ، فلما التقيا أخذهما بالعناق والتقبيل والثناء على طبهما والاعتذار عن شكه في فعلهما وقدرتهما ، ثم فعل الشاب مثل والده ، ثم قال الشيخ : الحمد لله على شفاء ولدي أيها الماهران على أيديكم المباركة ، وجزاكم الله خيرا ، فها هو ولدي المريض قد نهض من فراشه ، وحللت القيد عن ساقيه ، وقد بدأ يعود لحيويته التي أعهدها فيه منذ سنوات خلت .. فشكرا

شكرا لكما .

وأولجوهما البيت وأكرموهما غاية الإكرام ، وساقهما رئيس الخدم إلى أحسن حمام في المدينة وأوصى الحمامي عليهما ، ولما استحما وجدا في انتظارهما أحسن الثياب فارتدياها ، ثم رجع بهم الغلام للقصر ، وتناولا الغداء مع الشيخ وولده ، ثم دفع لهما الشيخ أكياس المال وهو في غاية السرور ، وحين انصرافهما قال : إذا احتجتم لشيء أيها السيدان في هذه المدينة فأنا رهن إشارتكم وفي خدمتكم ، وهل ستبقيان نزيلان في الفندق ؟

رد نحيف وكله سعادة وبشر : في الوقت الحالي نعم .

فقال الشيخ مودعا لهم : لا بأس ، فأنا أعرف هذا الخان وصاحبه .. فاحذراه يا صاحبيّ فهو رجل معروف بالجشع ، واحرصا على أموالكما جيدا .. لا تخلو مدينتنا من اللصوص والمحتالين .

وودعوا الشيخ وولده وهما في غاية البشر والحبور للمال الكثير الذي حصلا عليه لأول مرة في حياتهما من هدية القزم لهما ، وهرعوا للسوق واشتروا جرابين كأجربة الحكماء والعشابين في تلك الأيام ، ثم عادوا للخان ، وكم سعد صاحب الخان وهو يقبض منهما أجره وقال : لقد أصبحتما من الأثرياء سأخصكما بأجمل حجرة في فندقي حجرة تليق

بمقامكما أيها الطبيبان الماهران .

فقال عريف: بوركت يا سيد مخروم ، وهذه خمسون درهما هبة منا إليك جزاء تحملك لحاجتنا وغربتنا .

وتناول مخروم المال من يد عريف وهو يقدم شكره الجزيل لشخصيهما ، وقدم إليه نحيف ثوبا ثمينا هدية منهما ، فقال مخروم : لقد غمرتموني بكرمكم الكثير .. إنكما تستحقان السعادة والهناء ففي صدوركم قلوب رحيمة ومشفقة .

وذاع خبر الطبيبين في المدينة وقدرتهما الفائقة على مداواة الأمراض المستعصية ، فهرع إليهما المرضى من كل حدب وصوب ، وضاق الفندق بالنزلاء من المرضى وذويهم ، فيقوم عريف ونحيف بمعالجتهم ، فيأخذان من الغني ويدعان الفقير كما أوصاهما القزم الغريب صاحب البيضتين السحريتين ، فكثرت الأموال بين أيديهما ، فاشتريا صندوقا واسعا ليضعا فيه المال ، فأصبح الفندق مع الأيام ؛ كأنه مشفى ، وقد استفاد مخروم من مهارة الطبيبين ، وكثر ماله بسببهما ، فذات مساء قال لهم صاحب الخان : يا سيدان أنتما بحاجة لمن يحرس لكما مالكما الذي يزداد كل يوم ، فاستأجرا فتى جريئا يقوم على حمايتكم من لصوص المدينة ، فهم كثر في مدينتنا ، والعسعس مقصرون في المحافظة على أمن

ومال الناس .

فقال عريف: يا سيد مخروم .. نرغب في شراء قصر في هذه المدينة الكبيرة .. فانظر لنا في ذلك ولسوف نكرمك .

فحك مخروم رأسه عدة مرات ثم ابتسم وقال : حسنا أيها الأصدقاء ! سيكون لكم بعد أيام أجمل قصر في هذه البلدة .. سأبذل قصارى جهدي في تحقيق حلمكما في السكن في قصر كبير ويليق بطبكم وثروتكم العظيمة .

وما مضت أيام يسيرة حتى أتاهما مخروم وبصحبته رجل يلبس ثيابا براقة جميلة من الحرير الخالص ، ويداه مزينة بالخواتم الثمينة مما يوحي لمشاهديه وناظريه بأنه رجل ثري صاحب أملاك ، فقال لهما مخروم وهو يشير للرجل : هذا الشاب لدى والده قصر يريد بيعه ويطلب فيه مبلغ خمسين ألف درهم.

فرحبا بالشاب ، وانطلقا معه إلى قصر والده في قلب المدينة ، وشاهداه وتفرجا على غرفه الواسعة وحدائقه الرائعة مما أسال لعابهما على امتلاكه وشرائه ، ثم رجعوا للخان والشاب يقول لهم: هذا هو القصر الذي يملكه والدي ويرغب ببيعه ؛ لأنه قد بنى قصرا جديدا أكبر منه ، وبعد شرائكما لهذا القصر سأدعوكما لزيارة قصرنا الجديد والغداء مع والدي

.. وما عليكما أيها الحكيمان إلا أن تؤثثاه وتشتريا خدما وحرسا للقصر فتصبحان من السادة الأغنياء حقا .

وكان صاحب الخان قد أمر بإعداد مائدة فخمة تليق بضيفه الثري ونزيليّ فندقه عريف ونحيف ، وعلى المائدة المعدة تم الاتفاق ، وقبض الشاب المال المقدر ، وأخذ الصاحبان منه المفتاح الكبير .. وهو يلهج لهما بالدعاء والهناء بسكنى القصر الجميل ، وأختفى بعد الأكل ، وقد تبعه مخروم مسرعا .

واتفق عريف ونحيف أن ينتقلا صباح الغد لقصرهما الجديد ، فلما استقرا في حجرتها وجدا أنه لم يبق لديهما من المال سوى خمسة آلاف ، وهي لا تكفي لتأثيث ذاك القصر الواسع وشراء خدم وحرس ، فقال عريف : نشتري بعض الأثاث لبعض الحجرات ونصبر قليلا ثم نفرشه بأجمل الرياش والمتاع بعد حين .



ولكنّ الصباح كان يحمل لهم عددا من المفاجآت ، فأول هذه المفاجآت أنّ صاحب الخان قد اختفى من ليلة أمس ، وقد باع فندقه منذ أيام فتعجبا من الأمر ، فأخذوا أشياءهم على عربة من عربات الفندق وتدرجوا نحو قصرهم ، وهنالك لقد كانت في انتظارهم المفاجأة الثانية ، فلقد وجدوا رجلا يجلس أمام القصر ، وعلما منه أنه حارس القصر الخالي ، فرويا له قصتهما ، ووصفا له الشاب ، فتعجب الرجل وقال : لابد أنكما محتالان .. لم يشتر أحد القصر !

فأعادوا على مسمعه القصة وأخرجا له المفتاح ، فتناوله الحارس وأخذ ينظر إليه ويقلبه ، ثم جربه بالباب ففتحه ، ثم قال : هذا القصر معروض للبيع فعلا .. وللحق زارني شاب من يومين أوصافه قريبة مما وصفتموه ، وبين لي رغبة أبيه في شراء القصر ، ومنحني مائة درهم وأخذ مني هذا المفتاح ـ وأخرج مفتاحه ـ ومفتاحكم شبيهه ، وطلب مني أن أترك حراسة القصر نهار أمس حتى لا يثرثر والداه معي عند حضورهما لمعاينة القصر ، فنـفذت رغبته ، ثم عاد مساء أمس ورد لي المفتاح ـ وحرك الحارس المفتاح بيده ـ وقد قال لي " إنّ والديه لم يعجبهما القصر ، وأعطاني مائة درهم أخرى اعتذارا عن إزعاجه لي ، فأرى أنه ماكر قد سخر منا جميعا ، وأن صاحب الخان متأمر معه فاحتالوا عليكم

وفرا معا ، فاذهبا لرئيس الشرطة ، وقدما شكوى ولسوف أشهد معكم إن صدق وقبل الرئيس شكواكم .

ولما تذكرا أن صاحب الخان قد باع فندقه خفية عنهم ، فأيقن عريف ونحيف أن صاحب الخان احتال عليهما ودبر لهما هذه المكيدة مع ذلك الشاب الكاذب المزور ؛ فلذلك باع خانه دون أن يشعرهما بذلك ، فذهبا إلى زعيم الشرطة وقدما شكوى بمخروم وصاحبه المخادع ، ثم مضيا كاسفين البال يبحثان عن فندق يناماں فيه بعد خسارتهما ذلك المبلغ الكبير ، ومكثا ثلاثة أشهر في المدينة يتحسسان عن المحتالين ، والشرطة بدورها لم تصل إليهما ، ودخل اليأس قلبيهما من العثور عليهما واسترداد مالهما فجمعا ما بين أيديهما بعد تلك النكسة فإذا هو ما يقارب عشرة آلاف درهم ، ثم غادروا المدينة إلى مدينة أخرى .

شقاء أخر

وفي المدينة الجديدة استأجرا بيتا لممارسة العمل ، ولم يكد الناس يعلمون بقدرتهما على المداواة حتى عمّ صيتهما في أنحاء المدينة الكبيرة ، وبدأت تتوافد عليهما جموع المرضى للاستشفاء ، وكنت ترى الفقراء والأغنياء على باب المنزل للعلاج ، وكانا يمارسان عملهما في النهار فقط ويستريحان ليلا ، واستمر هذا الحال عدة شهور إلى كان ذات ليلة حدث .

فبينما هما منهمكان بإحصاء وحساب ما جنياه خلال النهار ، طرق الباب ، فنهض نحيف لينظر الطارق في هذا الليل فقال : من بالباب ؟

فجاءه صوت غلام صغير يقول : يا سيدي ..افتح أنا إيهاب .

فتح نحيف الباب فإذا الفتى يقول : من منكم الحكيم المداوي ؟ .. فجدي مريض وحالته يرثى لها ، وهو بحاجة لطبكم ، وقد أخبروا جدي عن مهارتكما ، فأرسلني إليكم لتذهبوا إليه ، وهو رجل ذو مال جسيم ، فابشرا بالغنى والعز الكبير إن تعافى جدي على أيديكم المباركة

فقال نحيف : أيها الفتى قل لجدك الطيب نحن لا نعمل في الليل ، فعد إلينا غدا صباحا .. أين يسكن جدك يا إيهاب ؟؟

فرد الفتى بحزن : جدي يسكن في وسط البلدة وهو سيد ميسور يدعى

أبا السر ، وهو معروف عند كل الناس .

وكان عريف قد خرج من الغرفة ليرى من الذي يتحدث مع رفيقه فقال : أيها الغلام .. ارجع صباحا وسترى ما يسرك من شفاء جدك أبي السر .

فقال الفتى : لا أستطيع الرجوع بدونكما ؛ فإن جدي لا يصدق أنكما اعتذرتما فقد يضربني أبي ، أرجوكم لا تكونوا سببا في إيذائي .. أمرني جدي ألا أعود إلا بكما ، فإن كنتما قلقين أو خائفين فليذهب معي أحدكما ؛ ليطمئن الجد والوالد أني جئت إليكما ، ثم لتأتيا غدا لعلاجه .

وبعد تهامس بين الصديقين قال عريف : سأنطلق معك أيها الغلام الصغير ! لقد رققت قلبي نحوك ، سأذهب معك لأطمئن جدك وأعرف البيت هيا امش أمامي.

وظل نحيف وحده في البيت ، وما كادت خطوات عريف تبتعد عن البيت حتى سمع نحيف قرعا على الباب ، فظن أن عريفا قد رجع فصاح : ما بالك قد رجعت ؟!

ولكنه سمع صوت طفل يقول : افتح أيها السيد أنا حيدر أرسلني أبي إليكم ، فهو مريض ، ولا يستطيع السير على قدميه ، وبيتنا قريب فنحن جيران .

فقال نحيف لنفسه : ما الأمر ؟ الفتيان الصغار يقرعون بابنا الليلة ! وتقدم وفتح الباب ، وقبل أن يتكلم مع الطفل انقض عليه عدد من الرجال ، وهم ملثمون فأوثقوه بعجلة قبل أن يستيقظ من المفاجأة ، وأخذوا صندوق المال والجرابين واختفوا في ظلام الليل ، وبعد حين دخل عريف فوجد الباب مفتوحا ، فأسرع بالدخول فلقي صاحبه مقيدا في الحبال ، فخلصه من القيد وهو يقول : ما الأمر أيها الصديق ؟! فأخذ نحيف بالبكاء وقال : بعد ابتعادك بقليل دق صبي آخر الباب ، فلما فتحته هجم عليّ رجال أشداء فكتفوني وسلبوا صندوق المال والجرابين وهربوا ، وأنت ماذا جرى معك ؟



فأخذ عريف هو الأخر يبكي ويقول : إنها مكيدة كبرى يا صديقي ! تعرضنا لمكر كبير ! سرت مع الفتى الصغير حتى وصلنا إلى منزل فدخله ، وأمرني بالانتظار ليستأذن لي ؛ ولكنه دخل ولم يخرج ، فطرقت الباب عدة مرات لا أحد يجيب ، فدرت حول المنزل ، فتبين لي أنه بيت مهجور ، فعدت إليك وأنا أحس بقلق عليك ، وصدق حدسي ، فهناك

من تآمر علينا وطمع في أموالنا ورسم هذه الحيلة .. تنهد عريف ثم قال : علينا العمل الآن لاسترداد البيضتين ..آه ! .. لقد دمرنا تماما يا صديقي ، فنحن مغفلان وطيبان ، ولم نأخذ جانب الحيطة والحذر مع أننا سخر منا سابقا العم مخروم .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال نحيف : من حسن الحظ أنّ اللصوص تركوا لنا بعض المال ، فهم لم يأخذوا سوى المال الموجود في الصندوق لاعتقادهم أن كل أموالنا فيه ثم رفع صوته متحديا وقائلا : سندافع عن مالنا ، وعن كنـزنا ، لا طعم للحياة الآن بدونه .. سنترك هذا المنزل ، ونسكن غيره ، ونتنكر ونتخفى ، ونبحث عن اللصوص ، فلابد للسارق من أن يحاول الاستفادة من البيضتين فيداوي الناس بهما فنسمع به .

فقال عريف : نعم ما قلت يا صديقي ، المال يحتاج إلى قوة لتحافظ عليه ، كثير من الناس أشرار ، والحسد يملأ نفوسهم .

رحلا لمسكن جديد ، وغيرا من هيئتهما ، وصاروا يتنقلون في أحياء المدينة يبحثان عن طبيب جديد ، ولم يطل انتظارهما ، فقد ظهر الطبيب الجديد في أحد الأحياء فتحسسا عنه ، فتأكد لهما أنه غريمهما وضالتهم المنشودة ، وعلما أنّ حوله أعوانا وحرسا، فرسما خطة محكمة للوصول إليه واسترداد البيضتين السحريتين منه .

فتنكر نحيف بثياب تشبه ثياب حرس السلطان في تلك المدينة ، وذهب إلى بيت السارق ، وأخرج كيسا حريريا ممتلئا بالدراهم ، وألقاه أمام الطبيب وقال بخشونة ؛ كأنه جندي قديم : هذا الكيس فيه مائة درهم ، ولك عشرة أمثالها إذا تعافى مريضي ، فلقد وصفوك لنا خير وصف .

وأمام إغراء المال نهض الطبيب على الفور ، وتبع الجندي السلطاني ، فقاده نحيف إلى بيت أعد لتنفيذ الخطة ، وهو يقول : ادخل أيها الطبيب الماهر ..فالمريض في انتظارك .

والتفت نحو رجال الطبيب الذين حضروا مع رئيسهم قائلا : أما أنتم أيها الأشراف فانتظروا أمام هذا الباب حتى ننتهي من العلاج .

وأغلق الباب في وجوههم ، وقاد الطبيب حيث يرقد المريض المتمارض عريف ، وتحدث الطبيب السارق مع عريف متظاهرا بأنه طبيب ماهر ، فأخذ يسأله عن سقمه ، ثم طلب الماء ليصنع الدواء ، وعندما ملأ الرجل البيضتين بالماء ، وتأكد لهما أنهما هدية القزم لهما ، انقض نحيف على الرجل بسرعة البرق وكتم أنفاسه وصرعه أرضا ، وقام عريف بإغلاق فمه وتربيطه بالحبال المعدة لذلك ، وأخذوا البيضتين وتسللا من باب خلف المنزل ، وأسرعا إلى بيتهما الجديد الذي استأجراه بعد أن سرقا من قبل هؤلاء الرجال ، وأما رجال الطبيب المحتال فبعد صبر وملل

تسللوا إلى الداخل ، وكانت في انتظارهم مفاجأة قاسية ، فكما احتالوا وسرقوا البيضتين احتيل عليهم ، فأصابهم الجنون وحب الانتقام ، وأمرهم الزعيم بالانتشار في المدينة والبحث عنهما ، وأما عريف ونحيف فقد ظلا ملازمين البيت عشرة أيام يخططان للهرب من المدينة وهما يقولان : هذا المال متعب لنا حتى جعل الأشرار يطمعون بنا ، فكيف العمل ؟! نخشى أن نخسر أرواحنا مع هؤلاء الأشرار .

ثم رحلا عن المدينة خلسة واستقرا في مدينة أخرى ، واتفقا على توخي الحذر الشديد في تعاملهما مع أهل هذه المدينة ، وكتم أسرار مهنتهم عن أعين الناس وملء البيضتين خفية عن أعين الناس ، ووضع المال في مكان أمين ، فترتب على هذه الأفكار استئجار مكان لممارسة العمل ، ومكان للمنام وحفظ المال .



ولم يمض سوى أيام قليلة حتى انتشر خبرهما في المدينة الجديدة ، فتهافت عليهم المرضى من كل أحياء المدينة ، ومع جريان المال بين أيديهم نسوا ما جرى لهم سابقا ، وما تعرضوا له من خطر وشر ، وذات مساء وهما يستعدان لمغادرة مكان العمل ونقل المال إلى بيتهم الذين يبيتون فيه ، وقف على باب العمل رجل يعتلي متن جواد وهتف قائلا : يا سادة ..أنا شفيق ابن الوزير الكبير لهذه البلاد ..ووالدي الوزير مريض وهو بحاجة لدوائكما ..هيا اذهبا معي فورا واعلما أن والدي أرسلني إليكم ، ولم يرسل الجند لإحضاركما تكرمة منه لكما ولطبكما .

فقال عريف بفرح ظاهر :آبوك الوزير أيها الفارس ؟!

فقال الفارس : نعم ، وهو مريض مرضا صعبا ..ولقد تشجع أبي على إرسالي إليكم لشفاء المرضى على أيديكم الكريمة ، واعلموا إن تعافى والدي الوزير مما ألم به من سقم وألم فلابدّ أن يضمن لكم الغنى والثروة ، وقد يجعلكم من زمرة أطباء السلطان .

فقال نحيف : يا سيدي العزيز ألا تؤجل لقائنا بوالدك الفاضل إلى صباح الغد ؛ فإن دواءنا لا ينفع إلا في النهار .

فقال الفارس بحدة : ويحكما قد يموت الوالد الليلة ! فيحل عليكما

غضب مولانا السلطان .. حاولا معه الليلة وأمضيا ليلتكما في القصر .. هيا لا تترددا ، وإلا أرسلت لكما الجند يجرجرونكما لقصرنا جرا .

فقال عريف : حسنا أيها الفارس ! سأذهب معك أنا .. وانتظرني يا نحيف في البيت سأقابل الوزير إن شاء الله .

ثم همس في أذن نحيف : هذه فرصة العمر أيها الصديق أن نتـصل بالوزراء!

وتناول الجرابين وركب خلف الفارس على حصانه ، وأما نحيف فإنه أخذ الأموال وهو في قلق وخوف على صاحبه عريف ، وقفل عائدا لبيتهم الآخر .

وأما عريف فقد واصل المسير مع الفارس حتى أدخله منزلا كبيرا ، فإذا هو في غرفة واسعة جميلة مفروشة بأجمل الأثاث ، ولما جلس واستراح قليلا قدم له خادم طعاما وماء ، فلما أكل وشبع نام سريعا .

ولما استيقظ من نومه وجد نفسه مطروحا في الصحراء تلفحه الشمس بحرارتها ، فظن نفسه للوهلة الأولى في حلم يفيق منه ، فبدأ يفيق لحظة لحظة فأدرك ما جرى له ، وأنهم سقوه مخدرا واستولوا على الجرابين ، فانطلق إلى البيت بيت النوم ، فوجد نحيفا في انتظاره وهو في غاية الخوف والتوتر ، فقص عليه الكارثة .

فقال نحيف : علينا يا صديقي أن نلزم جانب الحذر ، فكما تعلم ، لقد قلدت بيضة تشبه بيضتي السحرية ، وهي التي أضعها في جرابي ، وأما البيضة الحقيقية فكنت أخفيها في سروالي حذرا من الغدر ، ولما سحبت الجرابين لم أنبهك ؛ لأن قلبي لم يطمئن لهذا الفارس ، فقد ساورني قلق منه ؛ ولكنك أصررت يا صديقي على مصاحبته ، ولم يكن أمامنا وقت لمزيد من الحوار .. والحمد لله على سلامتك .. واعلم أنّ هؤلاء اللئام سيكتشفون أننا خدعناهم ، وسوف يطاردوننا ، ويقلبون الأرض بحثا عنا .

فقال عريف : أريد أن أعرف الوزير وابنه المحتال واسترد البيضة السحرية .

فتنكرا بعد دفن كنزهما ، ونزلا أحد الخانات ، وهما يتظاهران بأنهما غريبان قادمان من سفر بعيد ، وهدفهما الوصول للبيضة الحمراء لمغادرة المدينة للبحث عن الأمان في بلاد أخرى ، وقد تعبا من التفتيش والاستخبار ، ولما سألا عن الوزير علما أنه لا ابن له إنما له ابنة واحدة ومتزوجة من السلطان ، وحاول عريف الوصول للبيت الذي تناول فيه الطعام ، فلم يتعرف عليه ، وفي ليلة جلس الشابان في حجرتهما في الفندق يتناجيان ، فقال عريف بعد تنهد عميق : أين القصور التي بنيناها

؟! ..أين الزوجات اللواتي تزوجنا بهنّ ؟.. أين الأولاد اللذين أنجبناهم ؟.. أين الغلمان والخدم ؟وأين الأحلام التي حلمناها أيها الصاحب ؟! .. لقد تعبنا قبل أن نجني قصرا واحدا .

قال نحيف : يبدو أن أمي غاضبة عليّ ..لا أدري ما حل بأمي في أرض الوطن ـ يا عريف ـ بعد هذا الغياب .. لقد حلمنا كثيرا ..آه ! .. عندما كنا فقراء محتاجين كنا مرتاحين من الجمع والحساب والخوف وننام براحة ونأكل عن جوع .. أما اليوم فنحن في خوف وقلق نخاف على أنفسنا ونخاف على المال من الفقدان .. كم هو رائع الغنى ؟! وأحيانا أرى أنّ الفقر فيه الراحة والسكون ؛ ولكن الجوع مؤلم أكثر يا عريف !

فقال عريف : أين تكمن السعادة ؟! أنا تركت بلادي وأهلي لضيق ذات اليد ، وأنت خرجت من بلدك هاربا من الموت ، فذقنا طعم المال والطعام اللذيذ ، فعلينا أن ندافع عما تحقق لنا بكل قوة وحيلة نملكها ، فلا ندع اليأس يحطم أحلامنا ، ولا ندع الأشرار يهزموننا ، والحياة لا تسير حسب رغباتنا ، فالحياة تحتاج لكد وتعب وفرح وبكاء ، يجب أن نبحث عن كنزنا ومالنا ، لقد غلبت علينا الغفلة أكثر من اللازم ، ننسى الأشرار ونحسن الظن بكل الناس ، فالطمع والشر موجودان بين العباد وغير منقطعين إلى يوم الحساب .

وفي الصباح الباكر استيقظا على طرق الباب فقالا : من الطارق ؟!

فجاءهما صوت صاحب الفندق : أنا صاحب الخان .. ضيف يرغب بلقائكما ، ها هو يقف بجواري افتحوا الباب .

فتوترت أعصابها وظنا أمرا خطيرا واقعا لا محالة ، ونهض عريف وهو يقول : لا مفر من فتح الباب ، ثم صاح : من هو هذا الضيف ؟

فرد صاحب الخان : افتح الباب ، وسوف تراه.

وفتح عريف الباب ، فقال صاحب الخان ، وهو يشير للضيف : هذا الرجل القصير يسأل عنكم .

ثم خاطب القزم قائلا: هذان هما الرجلان اللذان وصفتهما لي. وانصرف

فهتف عريف بدهشة : من ؟! صاحب الكهف ..صاحبنا القديم .. يا مرحبا .

واعتنقه وهو يقول : حياك الله .. ادخل .. هذا صاحب الكهف يا نحيف .

وأسرع نحيف يرحب بالقزم ، وهما في دهشة من وجود القزم في هذه المدينة ؛ بل من ظهوره ومعرفته مكانهما ، فقال القزم وهو يدرك الاستغراب الذي حل عليهما من ظهوره بينهم : كيف حالكم ؟ .. ما أخباركم ؟ ..لقد تركت كهفي لأطمئن على أحوالكما .

فرويا له الحكاية منذ فارقاه حتى استصبحا به ، فقال القزم : لقد قلت لكما إنكما ستتعبان مع الناس رغم العمل الطيب الذي تقدمونه للناس ، وحذرتكم من غدرهم ، واعلموا أن الذي جاء بي إليكم أنه قد وصلتني البيضة الحمراء فأدركت أنكم في ضيق ، فجئت باحثا عنكم وراجيا منكم أن تردوا لي البيضة الصفراء ، وكفاكم ما وجدتم من شقاء وتعب ، ويكفي ما جمعتما من مال .. هيا نفذا ما أمرت ، وكما وعدتكم وقلت لكم سوف أعود يوما واسترد الأمانة ؛ ولكنكما لم تحافظا عليها .

وتناول البيضة الصفراء من الجندي القديم نحيف وهو يقول : وداعا أيها الصديقان ، وحافظا على المال الذي معكم ، وحققوا بعض أحلامكم ، وانتبهوا من غدر الغدارين ، واعرفوا الخير والشر والطالح والصالح وداعا أيها الطيبون .

{ تمت الحكاية }



قصص الزمردة



١ - وسيم والأميرة المغرورة

٢ - جلد الأسد

٣ - همام وجؤذر

٤ - عمتي زاهرة

٥ - سليم في الغابة المسحورة

٦ - نحيف وعريف